أبو المناضلين اليمنيين القاضي عبدالسلام صبره في آخر حوار صحفي لـ(الثورة) عام2008 م

بقي من أهداف الثورة أن يتخلص شعبنا من الخلافات المذهبية والرؤى الضيقة

2-1

■ على الشباب أن يلتزموا بالحق وان يعوا مبادئ وأهداف الثورة وان يسيروا في طريق استكمال أهدافها الإنسانية النبيلة

بعد عمر ناهز الـ (١٠٠العام قضى معظمه في النضال الوطني والهم الإنساني لإخراج اليمن من نفق الإمامة والجهل والمرض والتشظي ، رحل عن هذا الوطن أبو الثوار اليمنيين المناضل الكبير القاضي عبد السلام صبره .. لم أجد ما أعزي به اليمن التي عرفته مولوداً في عام١٩١٢ م وعايشته أملاً وطفولة ومناضلاً جسوراً ومهندساً ماهراً لمفاتيح الحرية والسعادة والإيثار حتى لقى ربه مبتسماً سعيداً كما أراد هو ، وباركه القدر.. كل ما أستطيع قوله عزاءً في هذا الفقيد الاستثنائي لا يرقى للتعبير عن موقف عارض اكتنف طريق هذا الطود الهمام ، وهو في مسيرة حياة قرن حافلة بالتضحيات الجسيمة ، ونبل قيم التعامل ، وطهر النوايا ، ومواقف الإنسانية المجردة من مكر السياسة ودنس الحقد والعصبية.. عزائي ليس سوى استرجاع لأيام قضيتها معه متردداً عليه لاستكمال تسجيل حوار صحفي – هو الأخير في حياته ولعله أكبر من حوار وتحقيق صحفي وبحث – تمحور حول حياته النضالية وتفاصيل ملهمة عن ثورة السادس والعشرين من سبتمبر١٩٦٢ م ، وما قبلها من مخاضات كان أبرز من تعرض لتبعاتها من بطش الإمامة ، حيث كان أكبر الثوار سناً وحكمة وروية ، وكان الأب الروحي لتنظيم الضباط الأحرار والشباب.. كانت الابتسامة لا تفارقه في تلك اللقاءات المتكررة ولمدة أسبوع ، كنت أخرج من عنده محملاً بأحالات إلى مراجع متعددة عن تاريخ الثورة اليمنية وأعود حاملاً أسئلة أخرى عن تفاصيل وأحداث لم تكتمل في المراجع ، فيستقبل أسئلتي بلحظة تأمل تفتح عمراً بأكمله من الكفاح والصبر والمثابرة.. لم يكن حواراً رتيباً تحاصره الأسئلة والإجابة ، بل كان آخر نقاش له عن مسيرة حياته تخلل هذا النقاش وطرح التساؤلات والبحث والتقصي من الوثائق والمراجع التاريخية التي أسهم فقيد الوطن والشعب أبو الثوار اليمنيين المناضل الجسور القاضي عبد السلام صبره في كتابتها مع كوكبة ممن عملوا تحت قيادته الحكيمة وفكره الناصع وضميره المخلص في ترجمة خطط الحركة الوطنية والنضالية وصولاً إلى الفعل الثوري السبتمبري الذي حو الحلم إلى واقع لمسه الشعب اليمني من أقصاه إلى أقصاه. إلى تفاصيل ما نشرته الثورة مع المناضل اليمني الكبير عبد السلام محمد حسن صبره عام في مطلع أكتوبر٢٠٠٨ م.

حوار وتحقيق/ محمد محمد إبراهيم

على عجل من الوقت كانت صهوة الشوق تدنيني نحو منزل أبو الثوار اليمنيين، الثائر المخضرم والفيلسوف الزاهد، صاحب السِفْر النضالي المرصع بنبل المواقف الوطنية التي لا يجهلها أحد.. انه المناضل التاريخي القاضي عبد السلام صبره.. في الطريق إليه كانت رهبة البوح تدلو من عميق نفسي، وغَبَشْ ذاكرتي ألف سؤال وسؤال عن ما الذي يجب أن يطرح من أسئلة على قامة كالجسور صبره، ماضياً وحاضراً، ومستقبلاً- صنعه من ماضي عطاءه- يشرق في دروب الأجيال نزاهة وإخلاصاً وحباً لعامة الناس.

يستقبلك باسم الثغر، مشرق الوجه بنور الرضا، مسرجاً ضياء التواضع ومشاعل الأمل وشيء من الهدوء والمسحة الفلسفية العميقة.. كيف لا وهو أبو المناضلين والثوار اليمنيين..لا يزال بكامل قواه العقلية متمتعاً بملكة النظرة التأملية الثاقبة، و التفكير السديد، وإن كانت السنوات قد صادرت منه بعض قوته البدنية وتسللت إلى حاسة السمع لديه؛ إلا أنه يتحدث برزانة الحكيم ووقار الزاهد..

فـ) ٩٧ (عاماً من العمر وقفت حائرة أمام ذاكرة تمطرك بدهشة الصفاء الذهني والتفكير المتقد – بعيداً عن صخب وأضواء الحياة قريباً من فسحة التأمل وفلسفة الزهد الراقي- ورزانة خطى العمر المتقدم.

قامته النحيلة –التي لم تهدها عواصف الخطوب وأمواج الصراعات وتضحيات الحراك الثوري تجعلك وَجِلاً أمام صاحبها إذ لا زالت تعبُّ من وقار العمر هيبة العزيمة، ومن التجربة الطويلة جدية التعاطي مع مفردات الحياة – ولا عجب أومبالغة- فهو (عبد السلام صبره) أبرز العناوين اليمانية الساطعة في صفحات التاريخ النضالي.

أهداف الثورة

كنت على ثقة من أن المناضل عبدالسلام صبره سيعتذر عن تكرار الحديث عن الثورة؛ ليس لأنه اعتذر للكثير، بل لإحساسي بأن المناضل عبد السلام صبرة أكثر من كتب ونشر وقال عن الثورة ومآسي عقود الإمامة الجائرة، ولعله كان الأكثر نزاهة وشفافية فيما قاله، ولم يكن يتحفظ على شيء إلا وسر ذلك يكمن في حرصه على سيادة قيم التسامح والمحبة وطي صفحات الماضي المؤلم، ولكن ما أدهشني هو طريقته في الاعتذار قائلاً: يا بني لقد تحدثنا وقلنا ما فيه الكفاية منذ٤٦ عام؟ وصار الحديث مملاً ومكرراً.. وأنا أأسف جدا لعدم الحديث عن ما مضى فما نريد منه سوى وجه الله ورضاه، ولو تحدثت لك سأضع نفسي في موقف محرج مع من اعتذرت لهم.. خصوصا والحوارات السابقة والمراجع تغني عن هذا الحوار..

إذاً ما السؤال الذي يجب أن يطرح على الثائر المخضرم والفيلسوف الزاهد بعد٤٦ عاما من قيام الثورة التي جاءت وعمره يتجاوز الـ)٥٠(عام؟

سؤالا كهذا جعلني أدقق في إطلاعي لأستخلص على كثير من الحوارات والمراجع مجموعة أسئلة خفيفة ومقتطفات ثم طرحها عليه –على خجل من اعتذاره المتواضع- ، وكان من أبرزها إني اطلعت على مقدمة كتاب وثائق أسرار الثورة التي كتبها بقلمه والتي أشار فيها إلى أن الهمسات الأولى للثورة اليمنية كانت عبر المناضل المحلوي، وعندما سألته عن المناضل المحلوي ... أجابني بهدوء و تواضع: فيما يتعلق بهذا عليك أن تعود إلى كتاب مذكرات المناضل العزي صالح السنيدار ففيها تفاصل كافية.

وكان أبرز ما قاله السنيدار في مذكراته عن المناضل محمد عبدالله المحلوي أنه كان أول ضحايا الحرية حيث كان يعاني المرض في الحبس فخرج من الحبس فمات بعد عدة أيام.. ومعلومات تؤكد موته في السجن وكان أحد ثوار الرعيل الأول من رجال الحركة الوطنية..

كان اعتذار الوالد عبد السلام صبرة عن تكرار الحديث فرصة ذهبية مكنتني من الاطلاع على أكبر كم من المراجع والحوارات المنشورة ليس معه وانما مع مناضلين آخرين.. لكن الفرصة الاهم من ذلك هو أن الاعتذار–الذي أجج الشجن أكثر عن مصدر سمو تعامله الراقي وتعاطيه الرصين مع مفردات الحياة من حوله- دفعني لطرح سؤال فحواه (سيادة القاضي عبدالسلام صبرة لكي لا نضل نكرر الحديث عن تفاصيل الثورة كما أشرت .. فأنا وأمثالي ننتمي إلى جيل الوحدة المباركة.. والآن بعد مرور٤٦ عاما من الثورة اليمنية الخالدة.. ما الذي يجب علينا كشباب تجاه الثورة ؟)

أخذ برهة تأمل قصيرة- كما لو أنه يختزل من يَم ذاكرته خلاصة حياة٩٧ عاما من العمر في شكل عَناوين تمد جسور الحكمة ومفاتيح الأمان إلى مستقبلنا كشباب- وقال(على جيل الشباب أن يلتزموا بالحق وان يلتزموا ويعوا مبادئ وأهداف الثورة وان يسيروا سيرا صحيحا في طريق استكمال أهدافها الإنسانية النبيلة التي قامت من أجلها الثورة وان يبذلوا ما يجب بذله من أجل ذلك)..

قاطعته بسؤال آخر..هل معنى هذا ان هناك أهداف من الثورة لم تتحقق إلى الآن؟

فقال:(لقد تحقق الكثير من أهداف الثورة واستطاع شعبنا التخلص من الظلم والجهل الظلام والمرض.. وبقي أن يتخلص من الخلافات المذهبية والرؤى الضيقة وغيرها من أسباب التفرقة التي هي أكبر شر في حياته و أمنه لكي ينعم بخير الثورة.. وما أتمناه هو تخلص شعبنا من هذه الخلافات)

عزيمة الاطلاع

لفت انتباهي وأنا في مجلسه عزيمته الكبيرة على الاطلاع فقد كان أمامه إلى جانب صحيفة الثورة رزمة من الأوراق يراجع فيها بعض ما يكتبه من رؤى وخواطر تنضح بالحكمة.. فأردت أن أخرج بالنقاش إلى مواضيع أخرى عن ما يكتبه بعيدا عن الحديث عن الثورة التي كتب عنها الكثير فسألته:

الوالد القاضي عبد السلام صبرة وعمرك يقترب من المائة العام بعد مشوار نضالي طويل .. ما هي خلاصة رؤيتك وفلسفتك تجاه الحياة.. أو كيف تلخص الحياة؟

عند سماعه لهذا السؤال تماسك ناهضا من مكانه –بقامته النحيلة وساقاه التي لازالت تقاوم السنوات الطويلة بتمكين (كما قاومت (مراود) الطاغية... وتحملت وعثاء السفر – مُثقلة بالأغلال- بين سجون حجة وصنعاء وتعز- والتنقل بين متاريس الكفاح أو بين الفرقاء لردم فجوات اختلافات الرؤى، ورسم ملامح اليمن الموحد وتشييد مداميك التعايش وقيم السلم الاجتماعي..

اتجه إلى أحد الاصفف في مجلسه وأخذ ورقة كبيرة قد تم تغليفها غلافا شفافا ومدها الينا قائلا: هذه رؤيتي في الحياة أتمنى أن تصل إلى كل الشباب ولا سبيل إلى وصولها الا عبر الصحافة.. وكان أبرز ما تضمنته هذه الورق رؤية فلسفية عميقة تنطلق من قاعدة إيمانية راسخة بعوامل وأسباب سيادة قيم الخير وانعكاس ذلك ايجابيا على حياة الفرد و المجتمع يقول فيها:(من الحقائق الثابتة التي لا تدع مجالا للشك.. ان من تواضع لواجب الحق والعدالة خوفا من نقمة الحق والعدالة–التي يصطلي بنارها الفرد والمجتمع –وروض نفسه على الوفاء بواجب الخير والإصلاح حبا في الخير والصلاح الذي ينعم ويسعد بخيره الفرد والمجتمع.

من أستطاع أن يكون هذا شأنه وتلك غايته أعزه الله في نفسه وفتح له أبواب رحمته وحكمته وذلك هو الفوز العظيم والسعادة الكبرى.

ومن تكبر وتنكر لواجب الحق والعدالة وتهرب وسخر من واجب الخير والإصلاح واستسلم لضعفه البشري ولأهوائه الفردية العمياء، ورضا لنفسه أن يكون هذا شأنه وغايته أذله الله في نفسه، وجعله يعيش خائفاً على الدنيا وخائفاً منها، وذلك هو العذاب الأليم والمهين الذي لا ينفع معه مالٌ ولا بنون.

ومن لم يستطع أن يجعل ما يُفنى من نِعم الدنيا – المادية منها والمعنوية – وسيلة لتقديم ما يجب تقديمه من جهوده الخيرة الخالصة لوجه الله، والخالصة لخير الصالح العام الذي يسعد وينعم بخيره الفرد والمجتمع سعادة مادية وروحية، من لم يستطع أن يكون هذا شأنه وتلك غايته فقد جهل موجبات رحمة الله التي يدخرها لعباده المجاهدين الصابرين، وفاته الإدراك والإحساس بمعاني هذه الرحمة التي تربطه روحياً بحقيقة القلوب، وبعظمة خالق الوجود وذلك هو الخسران المبين»

بعد ذلك سرد في سياق عبارته الرصينة استدلالات صريحة من القرآن والسنة تشير الى حتمية نتيجة المعادلات التي تضمنتها عباراته السابقة..

وعندما سألته عن السعادة مد إليّ رزمة الأوراق التي أمامه والتي تحمل عنوانا ومقدمة عن موجبات وأسباب السعادة.. وقال لي هذه الأوراق ما كتبته مؤخرا عن السعادة ولأن الموضوع طويل فخلاصته هي:

في اعتقادي أن أحق الناس بالسعادة الحقيقية هو ذلك الإنسان الذي استطاع بتفكيره المستمر في الآفاق وفي نفسه وبتجاربه المتكررة من خلال تعامله مع نفسه ومع الآخرين من أبناء مجتمعه، ومن خلال تعامله مع الآخذ بناصيته والحاكم على ضميره سبحانه وتعالى، واستطاع بهذه المواهب أن يصل إلى الإيمان الراسخ بعدالة الله الآخذة بناصيته والحاكمة على ضميره.

هذه العدالة التي لا تدع لنا ذنباً إلا ولفحته بنار لومها ووعيدها، ولا تدع لنا حسنة إلا وعانقتنا برحيق جنتها ورضاها، فطوبى لمن استطاع أن يتخلص من ذنوبه وذلك بما يبذل من الجهود الصادقة والمخلصة في مقاومة ما يجب مقاومته من أسباب الشر والفساد التي تضره وتضر الآخرين من أبناء المجتمع في دينهم ودنياهم وعاقبة أمرهم. وطوبى من استطاع أن يوفر من حسناته وذلك بما يبذل من الجهود الصادقة والمخلصة في توفير وسائل الخير والصلاح النافع للفرد والمجتمع.

ومن لم يستطع أن يجعل ما يُفنى من نِعم الدنيا المادية منها والمعنوية ويجعلها وسيلة لتقديم الجهود الخيرة النافعة للفرد والمجتمع فقد جهل موجبات رحمة الله التي يدخرها لعباده المجاهدين الصابرين، وفاته الإدراك والإحساس بمعاني هذه الرحمة التي تربطه روحياً بحقيقة القلوب، وبعظمة خالق الوجود وذلك هو الخسران المبين.

الطفولة والنشأة

فيما يتعلق بحياته وطفولته من أسئلة حول بيئة النشأة وعوامل الانطلاق للمجتمع والنضال... يحيلنا المناضل التاريخي صبرة إلى كتاب »أوراق أولى من الثورة« وتحديداً الفصل الثالث والذي يقول فيه: »والدي محمد حسن صبرة / كان موظفاً يقال له السكرتير الأول في المحاكم العليا في آخر الدولة العثمانية، وفي أول أيام الإمام يحيى كان قاضيا في أحد المحاكم الشرعية.. وقد خلف ثلاثة أبناء- أنا وعلي وإبراهيم وابنتين- ولدتُ في صنعاء عام١٩١٢ م... من أبرز مراحل دراستي هي المعلامة ثم مكتب الفليحي، وهو اسم تركي، ويطلق على المكان الذي يتم فيه تعليم منهج المعلامة زائد التجويد والحساب (مبادئ الرياضيات) وكانت الكتابة على الألواح.. ثم انتقلت إلى جامع صنعاء للتعلم حتى وفاة والدي / سنة١٣٥٠ هـ، وكان يملك مكتبة شخصية تحوي دار المعارف الفرنسية«.

بعد وفاة والده انصرف عبد السلام صبرة –كما يحكي- إلى الحياة العملية كموظف في بلدية صنعاء، ثم رئيساً لها وكانت تربطه زمالة بمنهم مرتبطين بالقضية الوطنية.

ويستعرض القاضي عبد السلام صبرة مشاهداً من بدايات حكم الإمامة في اليمن قائلاً: »بعد دخول الإمام يحيى صنعاء وانتصاره على الأتراك ودحرهم بفضل تضحيات الشعب اليمني ومن أقام في صنعاء حتى اعتبر إن كل شيء هو ملكاً شخصياً له وليس للشعب، ولم يفكر بالوحدة اليمنية ومنطقها ولم يخرج طيلة حياته إلا إلى (دمت) وأهمل المناطق الجنوبية للاستعمار كي يضمها تحت مسميات غريبة.

ويواصل صبره وعندما دخل الإمام يحيى صنعاء عمل كلما في وسعه للتخلص من العلماء والوجهاء والمشايخ الذين حاربوا الأتراك قبل أن يرحلوا، وقد حارب العلماء والوجهاء والمشايخ بشتى السبل، بالدسائس أو الإبعاد أو بتشويه السمعة، وأرسل بعضهم إلى وشحة والأهنوم وقتلهم هناك وقتل الآخرين في مناطق مختلفة، ولم يكن ذنبهم إلا النصح للإمام وغطى جريمته باتهامهم بأنهم مع الأتراك، ورغم استنكار اليمنيين لهذا العمل وفي مقدمتهم سيف الإسلام أحمد بن قاسم حميد الدين الذي أساء له الإمام وشوه سمعته، وكان رجل شجاع عالم جليل.. وقد تصدى لأعماله الإجرامية مجموعة من أبناء الشعب ممثلة في أبطال همدان الذين أطلقوا النار من بنادقهم على قصره خاصة بعد أن سخر من مشايخهم وأرسل جيشه لقتال همدان وأحيى من جديد قضية الرهائن ووسعها حتى شملت الأب والابن والأخ وأخذهم إلى السجون البعيدة من أهلهم.

وبعد حادثة إطلاق النار تكون مجموعة من علماء إب وتعز ومناطق أخرى مطالبين بالإصلاح وتحسين أوضاع اليمن، ولكنه زاد عتواً ونفوراً وزاد عدد المساجين وكثير منهم أوصلهم إلى سجن القلعة بصنعاء، حيث مكثوا في السجن سنين عديدة عاش منهم من عاش ومات من مات ... واستمرت الاحتجاجات واللقاءات ضد ظلم الإمام يحيى في مسجد كان يقال له»المسجد الجديد« بصنعاء..وكنت أحضر الندوات وعمري لم يتجاوز العشرين«.

■ كل ما مضى لا نريد منه سوى وجه الله ورضاه

■ من تنكر لواجب الحق والعدالة أذله الله في نفسه

21 فبراير
الانتخابات الرئاسية
بمشاركتك في الانتخابات الرئاسية المبكرة 21 فبراير 2012م تتحقق التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.
اللجنة العليا للانتخابات والاستفتاء